عرض المسائل والاستفهام عنها بقصد ان يتبرأ من تبعتها مُلقياً مع ذلك الشك والارتياب في العقول مضمضاً فيها المبادئ القويمة . وفي هذا ما فيه من التضليل للقراء لانهم ليسوا جميعاً بطبقة عالية من المعارف يستطيعون معها التمييز بين الصواب والغلط . فلا يعذر على اهمال النقد في مثل هذه الامور الّا اذا قال انهُ من مذهب الذين ينقل عنهم لانَّ النقل دون اتباعهِ بما يلزم من التصحيح والتقويم اذا كان ثمَّت ما يستدعي ذلك ليس بشيء من الاستقامة التي هي صفة كل عالم حقيقي

النتائج التاريخيَّة

من درس أعلام الاماكن اللبنانية

للاب هنري لامنس اليسوعي مدرس الجغرافيَّة والتاريخ في المكتب الشرقي

ليس بين المطَّلعين على اساليب علم التاريخ في عصرنا من يجهل فائدة البحث عن درس اسماء الامكنة فتستأذن قبل الخوض في الموضوع بتعداد منافعهِ بما امكن من الايجاز لندرك معناه الحقيقي وارتباطهُ الجوهري بتاريخ لبنان وجغرافيَّتهِ . فبوصفنا لهذه الفوائد نستدرك ما لعلهُ يطرأ على بال القارىء من سوء التفاهم . ليس غرضنا في هذه المقالة لغويًّا لكن تاريخيًّا محضاً وجغرافيًّا صرفاً اذ لا نقصد البحث عن اسماء المواضع اللبنانيَّة من حيث تركيبها اللغوي ومعناها الاصلي بل جلُّ ما نتوخاه ان نستنتج من درس هذه الاسماء . ومن سياقها وتقلُّبها على سطح الجبل نتائج تؤدي بنا الى معرفة ماضي لبنان

١

١ً اعلم ان درس اصل الاسماء المكانيَّة اعظم ظهير واكبر نصير للتاريخ لان اعلام المكان ترجع الى اقدم اصول اللغة اذ المتبادر الى الذهن ان الرجل اول ما يبدأ بهِ تسمية محل اقامتهِ باسم يعرّفهُ ويميّزهُ . لذلك نرى اعلام المواضع ابقت لنا ذكر حوادث

ومواقع لا نجد لها اثرًا في اعظم التواريخ اسهابًا واكثرها تفصيلًا (١ . وقد يتفق ان اعلام المكان وحدها تذكرنا بما جرى لبعض الشعوب من الحروب وما طرأ عليها من الحوادث السياسيّة والدينيّة . فهكذا كل موضع دخل في تركيبه اسم دير وقصر وبرج ومجدل (٢ يدلُّ على انه كان ثمّة دير او قلعة ولو كانت غير الدهر قد درست ذلك البناء ولم تُبقِ لهُ لا طللًا ولا رسمًا وربَّما كنَّا لا ندري اصل الاماكن اللبنانيّة ولا نعرف قدم عهدها فاذا ما عثرنا على اعلام فينيقيّة او ارامية استطعنا ان نستدل على انَّ اصل تلك المواضع يتصل بالعهد الذي كانت فيهِ تلك اللغة شائعة في لبنان . واذا وجدنا موضعًا مدعوًا باسم احد الآلهة القديمة كنعانيّة كانت او بابليّة قلنا ان نستنتج انهُ سبق التاريخ المسيحي وانهُ وُجد في عهد كان الاهلون يعبدون تلك الالهة . وعليهِ فدرسُ اعلام المكان يقوم مقام ما اغفلتهُ الادلة الكتابيّة ويدعم التقاليد المحليّة وبدونهِ لا نستطيع سبيلًا الى تحقق المنصوصات المبهمة الخالية من الحجة والعارية عن البرهان فضلًا عن انهُ يجدينا علمًا عن اقدم الآثار التاريخيّة وافضل الاسانيد ويسوغ لنا ان ننسب تلك الدلائل الى قرون سبقت اختراع الكتابة وتحديد اللغات على خط علمي منظَّم . فمن المعلوم ان الانسان سبق الى النطق قبل الكتابة واوَّل ما استعمل في كلامهِ تسمية المواضع التي تكتنفهُ باسماء تطابقها . وقد فُقد شيء كثير من تلك الاسماء الاوليّة وهذا ممَّا يحثنا على بذل الجهد وصرف العناية الى جمع ما بقي من تلك الاعلام والاستفادة منها ما امكن فسواء كانت تلك الاسماء لمسمَّيات دائرة او وضعيّة فانها تعين على احياء الحوادث الجغرافيّة التي باد ذكرها

٢ وتساعد اعلام المكان على معرفة آثار الشعوب الذين عمَّروا البلاد وخلَّفوا اسماءهم في بعض الاماكن . وممَّا بيَّنا في ابحاثنا المتقدّمة عن اصل الامم اللبنانيّة القديمة انَّ اللغة التي تسمَّت بها الامكنة هي اشدُّ دلالةً واوضح برهانًا على الاحوال السالفة من الكتابات عينها . فالكتابات باللغة اللاتينيّة وقس عليها اليونانيّة انما تدل على انَّ تلك اللغة كانت هي المعوَّل عليها في الاحكام الشرعية وليست اللغة الشائعة بين

١) ان بروتز (Prutz : *Kulturgesch. der Kreuzzüge*, 397) يبدي مثل هذه الملاحظة عند الكلام على الالفاظ العربيّة الدخيلة في اللغات الاوروبيّة اثناء القرون المتوسّطة

٢) مع فروعها « عيدل وعيدليون وعيدليا »

الشعب . وعلى عكس ذلك اسماء المواضع فان الشعب لا يضعها الّا في لغة يفهم معناها فينتقي في لغته اسماً يطابق المسمّى بدلالته على مميّزات ذلك المكان المأهول حديثًا . وقد يتّفق ان يخلف شعبٌ شعباً آخر فيغيّر الاسم القديم باسم احدث يدرك معناه . مثال ذلك جبل قريب من جزّين يسمّى « جبل طورا » وهو مركّب من اسمين عربيّ فسرياني وكلاهما الجبل فمثل هذه التسمية المكرّرة تدل على وجود شعبين (١

٣ تطلعنا اعلام المكان على نظامات الشعوب وعاداتها وعوائدها القديمة كالاسماء التي تتألّف مثلًا من سوق وجسر . وذلك بعد ان تكون السنون والدهور طوت الحوادث التي دعت الى تلك التسمية مثل « سوق الغرب » في قضاء الشوف وليس الآن هناك سوق

٤ تسوّغ لنا ان نقف على حالة الارض السالفة ونطّلع على العوارض الجغرافيّة من مناجم وغابات وغدران بادت حتى لم يبقَ لها اثر لِما طرأ عليها من التقلّبات الجيولوجيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة . ولسنا نرى حاجة الى ايراد امثلة على ذلك

٥ وبما ان جميع الاعلام المكانيّة إنّما قلّ كانت في الاصل اسماء جنس لا اسماء علَم فيكون درسها جزءًا مكمّلًا لمعجم اللغات القديمة ومساعدًا على احيائها . فمن هذا القبيل تكون اسماء المواضع احسن طريقة في دراسة اللغات وافضل وسيلة للتوصّل الى ابعد اصولها

٦ تبيّن لنا ما كان في اقدم الازمان للاحوال الجغرافيّة والطبيعيّة من التأثير في عقول اجدادنا (٢ وتكفي وحدها للدلالة على اهميّة الينابيع والانهر لاسيّما في الشرق حيث الماء من الشروط التي لا بُدّ منها لترقّي العمران . فاوّل ما استوطن البشر مجرار الينابيع وضواحي الانهر واقدم المدن عهدًا مدينة نشأت على مجرى المياه . فما مدينتنا بيروت الّا مدينة الينابيع والآبار كما يُتّخذ من مدلول اسمها الفينيقي

٧ تظهر لنا ما كان للجبال من التأثير في الرجال الاوّلين حتى عبدوها في الاصل

---

١) وفي صقلية جبل إتنا (Etna) يدعى احيانًا « جبل جبل » (mont Gebel) بتكرار اسمين اعجمي فعربي ومعنى كليهما الجبل

٢) راجع مجلّة الشركة الالمانية في فلسطين (ZDPV, 1904, p. 95)

كالّهة على حدّ ما حدث في لبنان وجبل حرمون (جبل الشيخ) وراس الشقمة والكرمل والجبل الاقرع كما سبق لنا بيانهُ

بقي علينا ان نكرّر التنبيه بان بحثنا الحالي يكون جغرافيًا محضًا اي اننا نقتصر على ان نتخذ من اسماء الاماكن في لبنان ادلّةً تكشف لنا عن جغرافيّة لبنان التاريخيّة في الزمن القديم . واماً ما تعلّق بالمباحث اللغويّة كالتغييرات التي توالت على اسماء الامكنة فاننا نحيل القرّاء الى الكتاب الذي الّفهُ الدكتور كمپفمير (Kampff-meyer) في هذا الموضوع وعنوانهُ « الاسماء القديمة في سوريّة وفلسطين الحاليّة » (١ حيث يبحث عن هذه المشاكل بدقّة وحذاقة رسمة اطّلاع كما هو دأبهُ في كل تآليفهِ

*

ولكي يمكننا ان نجني من هذا البحث جميع الثمار التي نشتهيها ونحصل على جميع الفوائد التي يتضمّنها كان لا بدّ لنا نحصل على لوائح كاملة لجميع اسماء الامكنة الموجودة الان في لبنان مع الردوم وتقاسيم المقاطعات والاحراج والينابيع والاودية . وفوق ذلك كان ينبغي لنا ان نبحث في الكتابات القديمة عن الاسماء المكانيّة التي فُقدت وقصارى الكلام كان يلزم ان يكون لدينا فهارس تتضمّن اسماء المواضع فقط كاللائحة التي وردت في مجلّة الحفريّات الفلسطينية (PEF) (٢ لبلاد فلسطين بل مجموع شامل لاوصاف لبنان ورسومهِ على نمط المجموعات الكتابيّة المؤلّفة لجميع الكتابات القديمة (٣ فلا حاجة الى القول انهُ لا يوجد نظير هذه اللوائح والفهارس للبنان اماً لائحة روبنسون وعالي سميث فلا تخلو من فائدة (٤ إلّا انها غير محكمة الوضع فضلاً عن انها ناقصة فالذي يسعى بعمل لائحة تفي بالمطلوب يخدم العلم خدمة جليلة ويمكنهُ ان يبني جداول على تقسيم قائمقاميات الجبل ومديريّاتهِ مُتّبعاً التعليمات التي ألمعنا اليها قبل الآن ثمّ يجمع التقاليد والاسانيد المحليّة التي تتعلّق باسماء الامكنة . والمشرق مستعدّ

١) راجع المجلة ذاتها (ZDPV, X V et XVI)

٢) المشروع حسن الّا انهُ غير كامل ولا يمكنا ان نعتمد دائمًا على روايات المؤلفين الانكليز

٣) راجع مقالة العلّامة جوليان التي عنوانها « الحاجة الى مجموع الأعلام المكانية في العالم القديم » (Beitrege z. alt. Gesch. 1902, II, p. 1)

٤) وهي منشورة في (Biblical researches in Palestine, vol. III)

لنشر هذه اللائحة مع الشكر لمن يتفضّل عليه بها. وكنّا نودّ لو نُشرت سالنامة لجبل لبنان تودع فيها اسماء الاعلام المكانيّة. فيُتخذ لهذه الغاية كمثل دليلُ لبنان المنشور في جريدة لبنان في بعبدا فانّ فيه لائحة لمحلات الجبل الحاليّة الّا انهُ ينبغي ان يُكمّل ما فيهِ من النقص مع التمييز والتفريق بين القرى والمزارع واضافة بعض دلائل

ونحن لم نقف على كتاب في هذا الموضوع جامع للفوائد نظير تاريخ بيروت الذي نشرهُ في المشرق حضرة الاب لويس شيخو ثمّ طبعهُ على حدة. فهذا التأليف الجليل لم يقابلهُ ادباء الجبل بالمقابلة التي هو جدير بها لاسيما من يهمّهم تاريخ لبنان وجغرافيته. فانهُ قد يسدُّ خلل اللوائح الوصفيّة الى حدٍّ ما. وأخصُّ فوائد هذا الكتاب بل اهمُّ ما يتضمّنهُ من الايضاحات قائمة في وفرة اسماء لبنان الجغرافية المذكورة فيه كاسماء القرى والاملاك وايضاحات عن حدود القاطعات القديمة وغير ذلك مما لم يرد ذكرهُ الّا في هذا الكتاب. فاننا لا نجد التواريخ الكبيرة تكترث كثيرًا للبنان كما اهملتهُ تآليف الجغرافيين الكبار فاذا اتوا على ذكر هذا الجبل فانهم يذكرونهُ عرضًا دون اسهاب ولا تفصيل. ثم ان كثيرًا من المحلّات القديمة بادت برمّتها ولم يبقَ من آثارها الّا اسمها الذي لم يزل منسوبًا الى حقل او خربةٍ لا شأن لها ولا اعتبار. ففي تاريخ بيروت نجد كثيرًا من هذه الاسماء المندثرة كاسم « رمطون » مثلًا. وكأنهُ الصكّ الاوّل الشاهد لوجود عدد من قرى لبنان إن لم يَجُز القول بانّ فيه قد دوّن تاريخ ميلادها. فيجدر بنا اذ ذاك ان نثني اطيب الثناء على ناشرهِ ولا يسعنا الّا ان نحضّ طلّاب العلوم التاريخيّة والجغرافيّة على الامعان في مطالعتهِ ونحن نتعهّد لهم باللذة والفائدة معًا فقد جنينا منهُ فوائد شتّى ولا نزال نواظب على مطالعتهِ استزادةً لجدواه

٢

واوّل ما نجد في بحثنا عن اسماء المواضع في لبنان تقلُّب اللغتين السريانيّة والعربيّة عليها. اما العربيّة فانها تدلُّ على حداثة عهد المساكن والمنازل لانّ هذه اللغة خلفت اللغة الارامية من عهد قريب كما اشرنا اليهِ في بحثنا عن لغات لبنان القديمة (١.

(١ راجع المشرق (٦: ٢٠٣)

(Βαιτσαμψα) وهذا يؤيد كلامنا . اما امثال ذلك في لبنان فكثيرة نورد منها بكيّا (ܒܝܬ ܛܠܡܘܢ) اي البيت الصخري وهي مركّبة من ܛܠܡܘܢ و ܛܠܡ صخر ومثلها بكيفا في اقليم الخروب وبحمدون وبياقوت اي بيت حمدون وبيت ياقوت (١ وقس على ذلك برّمانا وبزّمار وبتاتر وغيرها مما سوف يرد ذكرهُ

وقد يسوغ لنا ان نحكم على الغور والبديهي ان بلداً نظير لبنان غزير الينابيع ومناخهُ يقتضي وجود المياه لا بُدَّ من ان يكون لعنصر الماء دخل في تركيب اعلامه. وصحّة هذا الحكم تظهر بالمشاهدة فقد استمال افكارنا اسم قرية ميّوميه (وليس « ميّه وميه » كما يكتبها دليل لبنان) قريباً من صيدا في اقليم التفاح فاعتقدنا ان الكلمة الفينيقيّة الدالّة على الماء داخلة في تركيب هذا الاسم ويقابلها في العبراني (מים) فحكمنا بقدم عهد القرية وبوجود ينبوع ماء مشهور كان سبب تسميتها بهذا الاسم . غير ان الاعلامات كانت في اوّل الامر سلبيّة . فلمّا جئنا متأخّرًا في نواحي صيدا لم نعثر على معين ماء في وسط ميوميه لكنّا شاهدنا في سفح القرية ينبوعًا من اجود ينابيع تلك الاطراف القاحلة واعذبها . ففي حين مرورنا كان جميع الاهلين في قلق واضطراب لان بعض اصحاب الدسائس سموا بحكر المياه التي يستقي منها الناس والحدائق المجاورة فعند تأمّلنا تلك المياه الحسنة الخارجة من بطن الارض ادركنا سبب تسمية ميوميه بهذا الاسم الفينيقي

ففي لفظة ميروبا ورشميًا تظهر للعيان كلمة ܡܪܘܡ السريانيّة امّا الاسماء التي تبدأ بكلمة عين فهي اكثر من ان تُحصر (٢ وهذا دليل آخر على تأثير المياه وفضلها في تصيير المساكن والاماكن . وهنا نبدي نفس الملاحظة التي ابديناها على الباء المختصرة من « بيت » وذلك ان عين تُختصر احيانًا فتُلفظ عَنْ فعينْ ظورا تُلفظ « عنطورا » وعين دارا « عندارا » واليونان يسمونها عندريس (Andaris) . وهذا مما يدل على أنَّ عادة ابدال عين بعَنْ هي قديمة واماً هل ان عندريس من لبنان فراجع تسريح الابصار (١ — : ١١٢) اما قرية عنبال (٣ في ناحية الشوفين فاصلها عين بال . وقد تدغم النون

١) نسبة الى حمدون وياقوت ولا يُعلمنا التاريخ من اخبارهما شيئًا

٢) انما فُصل ذكر الاسماء التي تبدأ بباقية وغدير

٣) يظهر ان عنبال وعينبل في بلاد بشاره من اصل واحد وفي البشير ١٢ كانون الاول

بالحرف الذي يليه نحو عمّاطور واصلهـا عين ما طور (١ وهذا الادغام يستعمل ايضاً في غير موضع من سوريّة نحو عنجار « عين جار » في البقاع وعندقت « عين دقت » في عكار وعين دُور في فلسطين وهي تُلفظ وتُكتب اليوم « اندور » (٢

امّا الاسماء العربية الحتة فهي كثيرة ومعروفة ولا حاجة الى ايراد امثلة عليـها ويكفينا ايراد اسم « الجُدَيْدَة » لكثرة انتشاره . والاسماء التي تتألّف من « راس وظهر ووادي ودير ودوير » ولشباهها وكثيراً ما يتفق ان اللغتين تشتركان بالاسماء اللبنانيّة كما رأينا في الامثلة المتقدمة فتختلطان وتمتزجان امتزاج الماء بالراح بحيث تشتبك الكلمة العربية بالسريانيّة او تلتصق صيغة الجمع والتصغير العربيّة بكلمة من صيَغـة ارامية ويسهل تحقق ذلك من الامثلة التي سبق لنا ايرادها . وفي بعض الاسماء كما في « أنّه » يتعذّر الفصل بين اللغتين فلا نعرف أسريانية هي ام عربيّة (البقية لعدد آخر)

بدرو الاقريطشي احد فاتحي البيرو

عُني بنشرها وتعليق حواشيها الاب انطون رباط اليسوعي

قد انجزنا في آخر اعداد السنة الثامنة من المشرق اخبار رحلة الخوري الياس الموصلي الى امركة . بيد ان كتابهُ يتضمّن فضلاً عن هذه الرحلـة قسماً آخر مدارهُ على اخبار الامم التي كانت تقيم في تلك الاقطار قبل دخول الاوربيين اليها وتاريخ كشف البيرو ومـا جرى بين المواطنين والقادمين من الحروب والمناوشات . وقد اعتمد المؤلف على عدد من المؤرخين الاسبانيين ذكر اسمائهم في تضاعيف كلامـه اخصهم كارسيا (Grég. Garcia : *Orig. de las Indias*) واكوستا (Jér. d'Acosta : *Hist. Gén. des Indes*) وكارسيلاسو (Garcilasso) وغيرهم مثل سالاصار وانطون ده ادبرا وديكو ده الباري وردريكو لوصا واندراوس ده لارا وهوكو كارون . وقد قابلنا بين نصهِ وبين بعض نصوص المؤرخين المشار اليهم فوجدناهُ قد اجتهد في فهم معناها وادائهِ لكنهُ لم يدرك كيف يلخصها تلخيصاً يلذ المطالع ضاماً المعاني بعضها الى بعض متقدّماً الاخبار بعضها من سببها . وقد اخترنا مما ذكر شذرة عن بدرو ده كاندي (Pedro de Candie)

١٩٠٦ يذكر مراسل من عينيل ان الرسائل المبعوثة الى قريته ترسلها ادارة البريد غالباً الى عنبال

١) راجع تاريخ بيروت (ص ٨٨) والمجلة الفلسطينية ZDPV, XV, 111

٢) راجع Kampffmeyer, ZDPV, XVI, 55